مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

لِمَ هذا الاهتمام بالوضع السوري؟

ستيفن كوك

ترجمة وتحرير مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تهمّ الحقليْن السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وانما تعبر عن رأي كتابُها.

حقوق النشر محفوظة © 2021

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

لِمَ هذا الاهتمام بالوضع السوري؟

ستيفن كوك *

لِمَ تستمر معاناة الولايات المتحدة لتحديد ما يجب فعله بشأن نظام الأسد؟

بعد أيام من إعلان الرئيس الأمريكي -آنذاك- دونالد ترامب في تشرين الأول 2019 أنه في طور سحب القوات الأمريكية الموجودة في سوريا، كنت أنتظر حينها قطار الصباح الباكر المتجه إلى مدينة نيويورك. وبينما كنتُ أتجول عند بوابة محطة القطار، تظاهرتُ بتصفح التغريدات على «تويتر»، كنت أصغي إلى محادثة بين ضابطي شرطة منتسبين في شركة «أمتراك»، لم يستعرضا في حديثهما الجرائم التي تحصل في محطة قطار الاتحاد، أو أحاديث النميمة الأخيرة التي تدور في قسمهم، بل كانا يناقشان السياسة الخارجية للولايات المتحدة. لقد أيّدا خطوة الرئيس في سوريا، واتفقا على أن الصراع المندلع على بُعد آلاف الأميال لا يعنيهما، ولا يعني الولايات المتحدة، مُكرِرَين عبارة «أعيدوا قواتنا إلى الوطن؛ وأخمدوا الحرب التي لا تنتهي».

رسّخت تلك اللحظة أمراً كان يشغل ذهني ويدفعني إلى التمتمة به في معظم الأوقات خلال السنوات السبع الماضية، وهو: فشل مجتمع السياسة الخارجية الذريع في تحديد ما كان يجري في سوريا بطريقة صائبة، وإدراك تأثير هذا الأمر على المصالح الامريكية (أو عدم تأثيره)، وتقديم طريقة لحلحلة الأزمة. على الرغم من فترة رئاسته الشنيعة، طرح ترامب سؤالاً وجيهاً عن سوريا، سؤالاً وثيق الصلة بالشرق الأوسط بشكل عام: «ما الغاية مما نفعله؟»، يبدو أنه لم يحصل على جوابٍ شافٍ بما فيه الكفاية؛ لذلك أعلن عن سحب القوات الأمريكية من سوريا (وانتهى الأمر بإعادة نشر هذه القوات).

* كبير زملاء إيني إنريكو ماتي لدراسات الشرق الأوسط وأفريقيا في مجلس العلاقات الخارجية.

الآن، وفي مقابل عويل الشعب السوري الذي يدمي القلب في الذكرى العاشرة لغرق بلادهم في مستنقع الظلام، ثار جدلٌ –رغم أنه أقل حدة مما كان عليه قبل عقد من الزمن– يتمحور حول ما يجب على الولايات المتحدة فعله حيال صراعٍ أودى بحياة الكثيرين، وخلف عدداً أكبر من المصابين بعاهات مستديمة، وشرد نصف السكان من ديارهم، وزعزع استقرار منطقتين من العالم؟ صراعٌ يبدو أنه لن يُحسم كالعادة. هل يجب على إدارة بايدن أن تتوصل إلى اتفاق مع الرئيس السوري بشار الأسد؟ أهنالك أمل في أن يجد العالم طريقة تُزيل الستار عن انفراجة دبلوماسية؟ أم هل تعتقد أن الأزمة الاقتصادية التي طوقت لبنان –البلد الذي يُمثل قارب النجاة لسوريا– تقوض الدعم الذي يتحصل عليه نظام الأسد؟

لا أحد تقريباً يريد التدخل أكثر في الوضع السوري؛ وبذلك يُترك صُنّاع السياسة دون خيارات جيدة وإجاباتٍ واضحة.

ربما يعود السبب وراء ذلك إلى أنه لم يكن هناك تحليلٌ، على الأقل في النقاش العام طوال العقد المنصرم، يتناول المخاطر المحدقة بالولايات المتحدة فعلياً في سوريا، إن وُجد أيٌّ منها. منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، سعت الولايات المتحدة إلى العمل بسياساتٍ تهدف إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسة: ضمان التدفق الحر لموارد الطاقة من المنطقة، المساعدة في الحفاظ على أمن اسرائيل، والإبقاء على الهيمنة الأمريكية في الشرق الأوسط؛ حتى لا تتمكن أي دولةٍ أو تحالفٍ دولي من المساس بالمصلحتين المذكورتين آنفاً. وفضلاً عن الأهداف الثلاثة المذكورة آنفاً، غالباً ما يضيف المحللون منع انتشار أسلحة الدمار الشامل ومكافحة الإرهاب. وبافتراض أن السياسة الأمريكية ترتكز على هذه الأسس، فما قولُ المحللين وصُنّاع السياسة بشأن الأسلوب الذي تتبعه واشنطن في التعامل مع سوريا؟ قد يكون النهج الحالي المتسم بعدم التدخل في الصراع السوري بغيضاً من الناحية الأخلاقية، لكن هل يمكن الدفاع عنه من الناحية الاستراتيجية؟ غالباً ما يكون ها هو الرابط المزعج

في السياسة الخارجية الأمريكية، عبءُ عدم القدرة على التوفيق بين القيم والمصالح.

حينما اتضح أن ترامب لم يكن في صدد سحب القوات بشكل كامل من سوريا، أعلن بقاء بعض هذه القوات لحماية «النفط». هذا أمرٌ محير، فسوريا لم تكن يوماً من البلدان الرئيسة المصدّرة للنفط، على الرغم من أن نظام الأسد والمهربين الأتراك، وداعش قد استغلوا الاحتياطيات النفطية فيها خلال العقد الماضي لجني الأموال. لقد كان من المنطقي أن تستغل هذه الجهات الثلاث تلك الفرصة المؤاتية. بيد أن الإعلان عن بقاء القوات الأمريكية في خطرٍ بسبب النفط قد يكون سبيلاً ملائماً للتعامل مع الحقيقة المربكة المتمثلة في أنه في الوقت الذي صادق فيه الرئيس الأمريكي سابقاً على هزيمة (داعش)، فإن قوات سوريا الديمقراطية –المكونة وبشكل أساس من وحدات حماية الشعب الكردية– كانت تقاتل أتباع أبي بكر البغدادي بمساعدة الجنود الأمريكيين؛ وهذا ما يعني أنه لا يوجد شيء مما جرى في سوريا على مدى العقد الماضي يُهدد التدفق الحر لموارد الطاقة من المنطقة.

بقدر تعلق الأمر بإسرائيل، اعتقد المحللون في وقت من الأوقات أن سوريا تشكلُ تهديداً محتملاً لأمنها، بيد أن ضعف القوات المسلحة السورية خلال العقد الماضي هدأ من هذا القلق. إن التهديد الحقيقي –من وجهة نظر إسرائيل على الأقل– هو إيران، التي تريد البقاء في سوريا لفترة طويلة على ما يبدو، مما يُمكّن الإيرانيين من تقديم الامدادات لحزب الله بسهولة أكبر وتهديد إسرائيل بشكل مباشر. لم يستطع الإسرائيليون تقبّل هذا فشنّوا حملة جوية ضارية ضد الإيرانيين ووكلائهم في كل من سوريا والعراق. أثبتت طهران أنها غير قادرة على الرد بفعالية، وهنا نستنتج أن الإسرائيليين قادرون على الاعتناء بأنفسهم في خضم الصراع السوري.

فيما يخص الحفاظ على النفوذ الأمريكي، فإن سوريا عبارة عن مستنقع؛ ومما لا شك فيه فإن القادة في المنطقة أعجبوا باستعداد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، للتدخل وإنقاذ حليف من

شبه هزيمة، على عكس ما عدوه ضعفاً من الولايات المتحدة عندما تعلق الأمر بالرئيس المصري السابق حسني مبارك. قدّم هذا دفعة للروس على حساب الولايات المتحدة، بيد أنهم مُثقلون الآن بعبئ الأسد وصراعٍ يبدو أنه ليس له نهاية في الأفق. والأهم من ذلك أن الصراع في سوريا لم يُضر بقوة الولايات المتحدة وقدرتها على الدفاع عن مصالحها.

فيما يخص منع انتشار الأسلحة النووية، فإن الإسرائيليون بذلوا جهدهم في عام 2007 عندما دمروا منشأة نووية سورية سرية (كانت سرية بالنسبة للجميع ما عداهم). ومع ذلك، ما تزال مشكلة الأسلحة الكيميائية السورية قائمة. كان من المفترض أن تتخلى سوريا عن أسلحتها النووية في صفقة توسط فيها بوتين في 2013، لكن الأسد لم يكن متعاوناً بنحو كامل. لا تحظى هذه القضية بالكثير من الاهتمام لأن المواد الكيماوية التي كان من المفترض أن يتخلى عنها الأسد قد إستُخدمت وستُستخدم على الأرجح ضد السوريين أكثر من غيرهم. وقد ردّ ترامب على هجوم كيماوي نفذه نظام الأسد ضدّ المدنيين بعد فترة وجيزة من تنصيبه، ومع ذلك لم يحدث أي فرقٍ يُذكر في مسار الصراع.

في نهاية المطاف، يمكن تقديم حجة للولايات المتحدة لمواصلة مهمة مكافحة التطرف في سوريا بالقول: أصبحت البلاد دوامة تتلاطم فيها الميليشيات المتنافسة. قد تتضائل أعداد بعض هذه المليشيات، لكنها باقية لا محالة. وهكذا، تحافظ الولايات المتحدة على علاقتها بوحدات حماية الشعب الكردية على الرغم من اعتراض تركيا العضو في حلف الناتو، والتي تصر بدورها على أن هذه المجموعة لا يمكن تمييزها بالكاد عن حزب العمال الكردستاني، وهو منظمة إرهابية شنت حرباً ضد تركيا ومصالحها. هذه هي طبيعة الصراع في سوريا. على الرغم من استيائهم من الولايات المتحدة، يُنسق المسؤولون الأتراك مع المنتمون للقاعدة للمضي قدماً بأجندتهم المناهضة للأكراد. ونظراً لطبيعة الصراع السوري وعدد المتطرفين الكبير من الذين يجذبهم هذا الصراع، فمن المعقول أن

يظل صانعو السياسات يقظين حيال التهديدات هناك.

أما بالنسبة للرئيس الأمريكي جو بايدن، فإن مأساة سوريا تتفاقم؛ بسبب التزامه العلني بوضع القيم في مقدمة سياسته الخارجية. إن سعى إلى نبذِ ولي العهد السعودي، وأعلن أن حقوق الإنسان ستكون أمراً مركزياً في العلاقات الأمريكية المصرية وإذا تجاهل جرائم الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، إلى أين يقود ذلك الولايات المتحدة في موقفها مع سوريا؟ من المحتمل أن تكون الإجابة أن كل هذا لن يقودها إلى شيءٍ حتى لو ظلت إدارة بايدن متمسكةً بالقيم. هذا لأنه على الرغم من كل الوحشية التي مارسها نظام الأسد ضد الشعب السوري، فمن المرجح أن يتوصل بايدن إلى النتيجة نفسها التي توصل إليها ضابطا الشرطة اللذان سمعتهما مُصادفةً قبل عدة أشهر: لا يوجد ما يمثل خطراً كافياً على المصالح الأمريكية بالنسبة للولايات المتحدة حتى تتخذ إجراءاتٍ أكثر بكثيرٍ من مجرد فرض عقوبات وشن غارات جوية على إرهابيين والاحتجاج على تجاوزات الأسد العديدة ضد شعبه على أمل أن يتغير شيء ما وينتهي هذا الكابوس في سوريا.

إن الدافع الجلي للتقاعس عن اتخاذ إجراءٍ فيما يخص سوريا يفوق دافع التدخل لحل الصراع، وبكل تأكيد فإن هذا أمر مشكوك فيه من الناحية الأخلاقية، لكن هذه هي مأساة سوريا التي يجب على الولايات المتحدة قبولها في نهاية المطاف.